القراءة السيميائية لتفسير الأحلام دراسة سيميولوجية لعينة من نصوص حلمية من كتاب تفسير الأحلام لابن سرين

Semiotic reading to interpret dreams a semiological study of a sample of dream texts from Ibn Sirin's Interpretation of Dreams

محرز حمايمي[1] *
[1] جامعة قاصدي مرباح ورقلة (الجزائر)
hamaimi1977@gmail.com

تاريخ الاستلام : 15-02-2021؛ تاريخ المراجعة : 26-02-2021 ؛ تاريخ القبول : 30-06-2021

ملخص:

تسعى هذه الورقة العلمية إلى توضيح القراءة الدلالية لتعبير الأحلام، ووضعها في الإطار العلمي والتفسيري لرموزها وإشاراتها السوسيوثقافية، إضافة إلى الوقوف على خلفيتها النفسية السيكولوجية، ذلك أن ما يقوم به مفسر الأحلام هو عمل سيميائي بامتياز، كما يقول ميشال أريفي في كتابه اللساني واللاوعي، ومن جهة أخرى إظهار النظام السيميائي الذي يعمل به ابن سيرين رحمه الله في تفسيره للأحلام، وكذا التوظيف الدلالي لهذا التفسير الدراسات السيميائية المتخصصة في تفسير الأحلام ودلالاتها النفسية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية : السيميولوجيا؛ الحلم؛ النص الحلمي؛ الرؤيا؛ التوازن النفسي.

Abstract :

This paper seeks to clarify the semantic reading of dream expression, and placing it in the scientific and interpretive framework of its sociotactic symbols and references, as well as standing on the psychological, because what the interpreter of dreams does is a semiotic work par excellence, as Michel Arifi says in his book, The Linguistic and the Unconscious, on the other hand, to show the semiotic system that Ibn Sirin works in in his interpretation of dreams, as well as the semantic employment of this interpretation, the semiotic studies specialized in the interpretation of dreams and their psychological and social implications.

Keywords : Semiology; The dream; The dream text; The vision; Psychological balance.

I. تمهيد:

عرف الناس منذ القدم الأحلام، واهتموا بها من خلال جعل تأويل لها، فالمصريون واليونانيون والرومانيون كانوا يفسرون الأحلام، كما شاع بين الأطباء والفلاسفة ذلك، وكانوا يوصون بعضهم بعضا بتعلم تفسير الأحلام وإتقانها.

وفي العصر الحديث وجدت الأحلام اهتماماً كبيرا أيضا، وتناولتها دراسات علمية كثيرة، ولعل أشهرها الدراسات النفسية **لفرويد** و**يونغ**، ومن جاء بعدهم في مدرسة التحليل النفسي على غرار **لاكان**، الأمر الذي جعل الأحلام حكرا على الدراسات النفسية، وبالرغم من هذا الاهتمام والدراسات من الناحية النفسية، يبقى الحلم لغزا محيرا للفكر لا تكاد تفكك فيه رموز حتى تظهر أخرى، كأنها تتعهد الولادة في كل مرة.

وجاء في التراث العربي الكثير عن هذه الأحلام من خلال القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم، ومؤلفات العلماء العرب، غير أن المميز في هذا التراث هو خصوصية الفهم العربي للأحلام وتأويلهم لها حتى أنهم وضعوا لها علما خاصا سموه "علم تعبير الرؤيا"، والمتأمل في هذا التراث يجد أن العرب كان لهم منهاج دقيق لتفسير الأحلام وفك رموزها وضبط معانيها، ومن أشهر المؤولين العرب "الإمام محمد بن سيرين رحمه الله" عرف في زمانه بإمام المؤولين، وحتى يومنا هذا من خلال كتابه المشهور "تفسير الأحلام الكبير"، والذي يعتبر بحق قاموس فريد من نوعه في وضع التأويلات المناسبة لمختلف الرموز.

والناظر في الكتاب بتمعن وتدبر يجد القدرة والقوة التي يتمتع بها ابن سيرين في تأويله للحلم من خلال التوظيف الدقيق للرمز وتمظهراته، الأمر الذي جعله ينفرد بطريقة خاصة ونظام محكم في عملية التأويل، وهذا أيضا ما جعله بحق الواضع للأسس والقواعد التي تحكم تأويل الأحلام، معتمدا في ذلك على نسق سيميولوجي مضيفا له المرجعية الثقافية المبنية على الكتاب والسنة حتى يصل في النهاية إلى المدلولات الإيحائية، دون أن ننسى الكفاءة العلمية الموسوعية الشخصية له والتي تدل على أنه صاحب ملكة في التأويل.

وفي المقابل نقول أن السيميولوجيا كما عرفها دي سوسير في كتابه "محاضرات في الألسنية العامة"، العلم الذي يدرس حياة العلامات في الحياة الإجتماعية، وكذلك عرفها **بيار غيرو** على أنها:" العلم الذي يهتم بدراسة أنظمة العلامات، اللغات، وأنظمة الإشارات، التعليمات..." [1]

وبذلك فإن السيميولوجيا قد اقتحمت ميادين شتى، ومجالات بحثية عدة وكشفت عن مكنونات المعاني وحللت مختلف الوحدات المفاهيمية تحليلا كيفيا يغوص في أعماق المعنى، فالحلم، الرمز والتأويل كلها مفاهيم يمكن الوصول إلي معانيها وكشف سيروراتها من خلال هذا العلم، ولا يتأتى لنا ذلك إلا من خلال وضع تلك المفاهيم على محك البحث العلمي الجاد وربطها ببعضها والبحث عن دور ووظيفة الرمز فيها من خلال كتاب "ابن سيرين" لنصل إلى طرح التساؤل المحوري التالي:

- ما هي القراءة السيميائية لتفسير الأحلام وكيف وظف ابن سيرين هذه القراءة في تفسيره للأحلام ؟

II.1- مدخل مفاهيمي للحلم:

أ- مفهوم الحلم لغة: يعرف **ابن منظور** الحلم لغة [2]، على أنه جاء من: حلم: الحُلْمُ، الحُلُم: الرؤيا، والجمع أحلام، ويقال: حَلَم، يَحلُم إذا رأى في المنام.

وقال **ابن سيّده**: حلم في نومه يحلُم حلْما واحتَلم وانحلَم.

قال **بشر بن أبي حازم:** أحق ما رأيت أم احْتلام؟، وحَلَم به وحَلَم عنه: رأى عنه رؤيا أو رآه في النوم. وفي الحديث: من تحلَّم مالم يحلُم كُلِّف أن يعقد بين شعيرتين، أي قال إنه رأى في النوم مالم يره.

والحُلْم: الإحتلام أيضا، يجمع على الأحلام.

وفي الحديث: الرؤيا من الله والحُلم من الشيطان، والرؤيا والحلم هو ما يراه النائم في نومه من الأشياء، ولكن غلبت الرؤيا على ما يراه من الخير والشيء الحسن، وغلبت الحلم على ما يراه من الشر والقبيح، ومنه قوله أضغاث أحلام، ويستعمل كل واحد منهما موضع الآخر، "وتضم لام الحلم وتسكن".

وحسب **الجوهري**: الحُلُم، بالضم، ما يراه النائم، وتقول حَلَمت بكذا وحلمته أيضا: قال،

فَحَلَمتها وبنو رفيدة دونها، لا يَبْعَدَنَّ خَيالُها المحْلُومُ

وقال ابن **خالويه** "أحلام نائم ثياب غِلاظٌ"، وهي أحلام نائم للأماني الكاذبة، ولأهل المدينة ثياب غلاظ مخططة تسمى أحل

أم نائم، قال:

تبدلت بعد الخيزران جديدة وبعد ثياب الخز أحلام نائم

الحلم اصطلاحا: قال سيغموند فرويد: "وتعريف الحلم، هو أنه النشاط النفسي للنائم من حيث هو النائم".[3]

من خلال تعريفه تحدث عن النائم، وهذا ما يدفعنا للتحدث عن مفهوم **النوم**، فحسب القاموس الطبي لعام 1986 فإن النوم " حالة فيزيولوجية متميزة بالانقطاع المنعكس فورا للوعي".[4]

ويعرف أيضا على أنه "حالة طبيعية متكررة، يتوقف فيها الكائن الحي عن اليقظة...وتصبح حواسه معزولة نسبيا عما يحيط به من أحداث".[5]

يتبين من خلال التعريفين السابقين أن النوم ظاهرة فيزيولوجية كأيِّ ظاهرة أخرى غير أنه لا يُعرف جوهره وحقيقته، لذلك كل الدراسات تتعامل مع النوم من خلال مظاهره. أما في تراثنا العربي فالنوم يعد بمثابة الموت الصغرى مصداقا لقوله تعالى" **الله** يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لناس يتذكرون".[6]

بعد التعرض للنوم نواصل في تحديد المعنى الاصطلاحي للحلم، حيث يعرفه **أيتنهوف Luc Ugttenhove** "الإنتاج النفسي المدمج تبعا للنشاطات العقلية لليقظة" [7]، أي أنه نشاط عقلي يثيره عامل نفسي، وقد سبقه إلى ذلك **فرويد** ولكن في صيغة أخرى، إذ حدد في تعريفه طابع ذلك العامل النفسي قائلا بأن:" الحلم هو نتيجة فعل رغبة لا شعورية والممارس على المادة التي توردها أفكار الحلم" [8]، وتعمل تلك الرغبة أو الدافع وفق آلية لاشعورية، بالشكل الذي عبر عنه فيسيل **Ficili** إذ يرى أن الحلم هو "بناء واقع من طرف الدماغ، بمجرد تحرر هذا الواقع من ميكانيزمات الحجز وبغياب روابط الزمان والمكان".[9]

بل إنه هناك من يرى أن الحلم أعمق من ذلك، من بينهم ميشيلي **Mucchielli** الذي يرى فيه مجرد تحقيق رغبة لأنه "تعبير عن اشكالية وجودية".[10]

وحسب المدير السابق لمعهد بحوث الأحلام في "**سنتاكروز**" بالولايات المتحدة الأمريكية كالفين هول **Calvin hall** فإن الحلم "هو تواتر من الصور العقلية وهي في غالبيتها صور بصرية من حيث نوعيتها، تمر بالفرد كخبرات خلال النوم، وللحلم عادة مشهد أو مشهدان ويشتمل علة عدة أشخاص بالإضافة إلى الشخص الحالم، ويتضمن سلسلة من الأنشطة والتفاعلات ...فهو (الحلم) يشبه صورا متحركة أو عرضا دراميا يكون فيه دور الحالم مزدوج، إذ هو المشارك والمشاهد معا رغم أنه هلوسة، ذلك الحلم ليس له وجود مادي حقيقي ملموس، فإن خبرة الحالم به هي أنه يكون في وضع كأنه يرى شيئا حقيقيا".[11]

والحلم لا يصبح مقبولا من طرف علم النفس كظاهرة علمية إلا بعد تذكره وتقاسمه مع الآخرين وهذا ما يؤكده **يونغ** في كتابه « **The nature of dream** » عام 1945.

أما الباحث **سعيد يقطين** فيقول: "عندما نتحدث عن الحلم ونعتبره موضوعا" للبحث فلأننا ننطلق من أنه "نص" مثله في ذلك مثل أي نص ينتجه الإنسان، وأي نص كيفما كان جنسه أو نوعه أو نمطه حاملاً للمعنى، غير أن نص الحلم من طبيعة مختلفة إنه يتراءى في خيال النوم، ويتخذ نسقا خاصا ومختلفا وعلى الأصعدة كافة".[12]

ومن عرضنا السابق لما جاء في الأحلام من تعاريف يمكن أن نخلص إلى النقاط التالية:

- الحلم نشاط نفسي يقع حال النوم.
- الحلم يحدث توازن نفسي.
- الحلم نشاط عقلي مؤلف من صور عقلية.
- للحلم أفكار.
- الحلم بناء لواقع من طرف الدماغ.
- الحلم تجربة فردية.
- الحلم موضوع للدراسة.
- الحلم نص له عوالمه.
- الحلم حامل للمعنى وبالتالي لغة لها قوانينها.

وعلى هذا الأساس نبلور التعريف الإجرائي للحلم التالي: " الحلم مجموع العلامات المرئية والمسموعة المرموزة التي تتراءى للنائم، والتي لا تخرج عن حدّيً البشارة أو النذارة". ومن خلال هذا التعريف الإجرائي حاولنا الإلمام بمختلف المعاني السيميائية التي نودُّ دراستها في الأحلام، خاصة من خلال المفاهيم المقترحة (العلامة المرئية/ المسموعة/المرموزة).

فالعلامة تحدث عنها وألف فيها جمع من الباحثيين السيميولوجيين على غرار كتاب "العلامة" لأمبريتو ايكو مثلا.

أما القول أن الحلم علامة مرئية، ذلك أن الرؤية أوسع من البصر لأنه يشترط في العلامة البصرية حاسة البصر، وهذا كما هو واضح غير متوفر لدى النائم، ولأن الرؤية تتعلق بالإدراك العقلي كانت العلامة المرئية أدق وأضبطُ وأقرب لمفهوم الحلم.

أما إضافة مسموعة، كثير من الأفراد يقولون أننا سمعنا في الحلم كذا وكذا، فحتّى نميّز ما بين المرئي والمسموع في الحلم ذكرنا المسموعة، وعادة ما يسميها العلماء العرب بالهاتف، فيقول الحالم: "سمعت في منامي هاتفا يقول كذا وكذا".

أما القول بأّن الأحلام مرموزة فقد سبق لذلك علماء على غرار ما يرى **فرويد** و**لاكان** فالحلم عندهما مؤلف من مجموعة رموز، وهو نوع من سلسلة دلالات، إنه لغة لها قوانينها وآلياتها الخاصة التي تؤدي مباشرة إلى الوظيفة الرمزية.[13]

أما كون هذه الأحلام تتراءى للنائم، حتى يخرج بذلك ما يكون خارج النوم من أحلام اليقظة أو الأحلام البنائية، وليعلم المطلع على هذا البحث أن دراستنا مقتصرة على أحلام النوم فقط.

والقول على أنها لا تخرج عن حدّي البشارة أو النذارة لأمرين، أما الأمر الأول فمتعلق برؤية ابن سيرين نفسه للأحلام فهو يقسم كل ما يرى في النوم إلى خير أو شر أي حامل البشارة أو النذارة.

والأمر الثاني حتى يخرج بذلك ما يراه النائم من حديث نفس، لأن هذا البحث متعلق بالتأويل وحديث النفس لا تأويل له في التراث العربي.

2.II- الحلم في التراث العربي: ومن هنا يمكن الدخول إلى معرفة الأحلام في التراث العربي، وهل للأحلام في التراث تسمية خاصة؟

في حقيقة الأمر أن العرب اهتموا منذ القدم بمسألة الأحلام وتأويلها، قال ابن خلدون في مقدمته :"الرؤيا موجودة في صنف البشر على الإطلاق ولا بد من تعبيرها".[14]

والذي نريد التنبيه إليه أنها وإن وحدت في التراث العربي (الأحلام) فهي موجود ضمن علم مؤسس يسمى عند العرب بعلم "تعبير الرؤيا"، وابن خلدون نفسه عنْوَنَ فَصْلاً كاملا باسم "علم تعبير الرؤيا" والحقيقة أن كلمة "تعبير" مأخوذة من القرآن الكريم في قوله تعالى فيما قاله الملك للملأ: "إن كنتم للرؤيا تعبرون" [15]، فقولك: عبرت الرؤيا أي فسرتها، (كما في المصباح المنير للفيومي)، وأُخبرت بآخر ما يؤول إليه أمرها (كما في قاموس المحيط للفيروز أبادي ص558).

وهو كما قال الله سبحانه وتعالى في قصة يوسف لما رأى ما رأى وجرى له ما قدر ورفع أبويه على العرش قال "يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا" **[16]**، والتأويل يطلق في القرآن على التفسير، ويطلق على حقيقة الأمر الذي يؤول ويصير إليها، وهو الغالب كما نبه عليه الشنقيطي في "أضواء البيان".

والتعبير خاص بتفسير الرؤيا وهو العبور من ظاهرها إلى باطنها كم في "الفتح" لابن حجر، وحكى الأزهري في "تهذيب اللغة": أنه قيل لعابر الرؤيا عابر، لأنه يتأمل ناحيتي الرؤيا فيتفكر في أطرافها ويتدبر كل شيء منها ويمضي بفكره فيها من أول ما رأى إلى آخر ما رأى.[17]

والملاحظ من خلال ما ذكرنا أن المشهور في التراث العربي هو "علم تعبير الرؤيا"، وأن سائر ما يطلق عن الأحلام هو الرؤيا التي لها تأويل، ذلك أن العلماء يقسمون الأحلام إلى قسمين قسم صحيح وقسم فاسد.

وسوف نورد تقسيم الإمام **الشهاب العابر المقدسي الحنبلي** لأنه جامع مانع بتصرف:

القسم الصحيح: وفيه أربعة أنواع الرؤيا، وهو الذي يُعبر:

1. المحمودة ظاهرا، وباطنا.
2. محمودة ظاهرا، مذمومة باطنا.
3. المذمومة ظاهرا، وباطنا.

4. المذمومة ظاهرا، والممدوحة باطنا.

أما القسم الثاني وفيه أيضا أنواع:

1. حديث النفس.
2. يكون من غلبة الدم.
3. يكون من غلبة الصفراء.
4. يكون من غلبة السوداء.
5. يكون من غلبة البلغم.

ثم بعدما ذكر التقسيم قال، والذي ذكرته غير مختلف فيه.

والحقيقة أن عمدة العلماء في تقسيمهم للأحلام هو حديث النبيِّ صلى الله علية وسلم: "الرؤيا ثلاث: منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته، فيراه في منامه، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة".[18]

وقال **ابن عبد البر** في "التمهيد" (285/1) "وقد قسم النبي صلى الله عليه وسلم الرؤيا أقساما تغني عن قول كل قائل".[19]

ونأخذ من ذلك أن الأحلام في التراث العربي بالجملة هي:

أولا: الرؤية الصادقة وهي من عند الله عز وجل.

ثانيا: الحلم وهو من الشيطان.

ثالثا: حديث النفس.

ونحن نذكر هذا لكي نميّز طبيعة الأحلام التي نحن بصدد دراستها سيميائيا، وعليه فإن الحلم هنا المقصود به الرؤيا في التراث العربي والتي لها تأويل وتعبير، إذن في هذا البحث لا نأخذ بعين الاعتبار بما يسمى بأحلام الكوابيس والتي تحدث عنها فرويد، وكذا حديث النفس.

وتدعيما لما سبق سوف نأتي على ذكر بعض المؤلفات علم تعبير الأحلام في التراث العربي، ولقد ذكرها **عبد الغني النابلسي** (1641-1731م) حين فرغ من كتابه " تعطير الأنام في تعبير المنام" سنة 1687م، وهو قد أورد كتاب **ابن غنام** الحنبلي وزاد عليه كما صرح في بداية كتابه.[20]

ومن بين هذه المؤلفات نجد:

- **التعبير القادري**، لنصر الدينوري.
- **الحكم والغايات في تعبير المنامات**، لمحمد بن محمد بن إبراهيم المعروف بابن الدقاق المقري.
- **المنتخب**، لأبي الحسين بن الحسين بن ابراهيم الخليلي الداريز.
- **الإشارة في علم العبارة**، لعبد الله ابن حازم بن سليمان المزني الشافعي.
- **الإشارة إلى علم العبارة**، لمحمد بن عمر السالمي.
- **البدر المنير في علم التعبير**، لشهاب الدين أحمد بن عبد الرحمان المقدسي الحنبيلي، (وهو الذي أخذت عنه تقسيم الرؤى).
- **المعلم على حروف المعجم**، لإبراهيم بن يحيى بن عنام المقدسي الحنبلي.
- **مختصر كتاب ابن غنام**.

II.3- دور الحلم في إحداث التوازن النفسي:

ولمعرفة متى يقع الحلم في النّوم نعرض ما قام به الباحثان سانفو Sanfo **(1985)**،ماجنين Magnin (1990) [21]، حيث ميزا بين مرحلتين أساسيتين للنوم:

المرحلة الأولى تسمى **"طور النوم التقليدي (الهادي)":** حيث يشكل طور النوم التقليدي « **Orthodox sleep»** الجزء الأعظم من النوم، ويحدث على أربع مراحل هي:

أ. **مرحلة النعاس** « Dohing »: وتشكل من 5 إلى 10% من مجموع فترة النوم.

ب.**مرحلة النوم الخفيف** « Light sleep »: وتحدث الأحلام فيها ولكن يندر أن يتذكرها الفرد، وتشكل هذه المرحلة 50% من النوم فالفرد يقضي نصف وقت نومه على هذا الشكل.

ج. **مرحلة النوم العميق** « Deep Sleep »: وتمثل النوم المريح لحدوث الاسترخاء فيها، وتشكل 15% من النوم.

د. **مرحلة الأمواج البطيئة** « Slow-wave sleep »: وتشكل 10% من مجموع فترة النوم.

المرحلة الثانية تسمى طور النوم المتناقض (الحالم): يتميز طور النوم المتناقض **« Paradoxical Sleep »** بالمظهرين التاليين:

أ. **مظهره الفيزيولوجي**: إذ يُصحَبُ بحركات سريعة للعينين (ح ع س)، ولذلك سمي بنوم **« Rem »**، **« Rapide Eyes Movements »**، وينشِط الدِّماغ فيزداد استهلاكه للأكسجين، كما يزداد تدفق الدم إليه وترتفع حرارته، ويبلغ هذا النشاط سرعة فائقة ومذهلة، وقد يفوق خلايا الدماغ نشاطه خلال اليقظة.

ب. **مظهره النفسي والعقلي**: بحيث تحدث في هذه الفترة الأحلام وتدوم أول مرحلة من مراحل النوم الحالم من 5 إلى 10 دقيقة.

وبذلك تشكل 20% من نوم البالغين، و40% من نوم الرضع.

ويتعاقب الطوران على دورات كل 90 دقيقة، ويتقاصر النَوم في كل دورة ويصبح أقل عمقا، في حين يتطاول النوم الحالم وقد تصل طول فترة هذا الأخير في آخر دورة من الليل (الرابعة أو الخامسة) إلى حوالي ساعة من الزمن.

في حقيقة الأمر جئنا بهذا التفصيل عن النوم لكي نبين أن ظاهرة النوم بفترتيها الهادئة والحالمة تعد تلبية لحاجتين بدنية ونفسية، أما البدنية تظهر من خلال انخفاض التوتر البدني في حالة النوم الهادئ، أما النفسية تأتي من خلال انخفاض التوترات العصبية ولا يكون ذلك إلا بالتنشيط العصبي (الحلم).

أ* مقاربة رومان جاكبسون: Roman Jakobson

قسم جاكبسون المخطط الاتصالي الذي جاء به إلى ستة عناصر وكل عنصر يعبر عن وظيفة معينة للغة.[22]

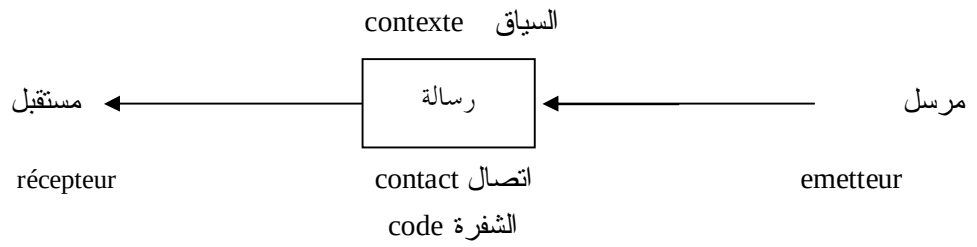

- **المخطط الاتصالي لرومان جاكبسون:** ويمكن تجسيد الوظائف في الشكل التالي:

المرسل ← الوظيفة التعبيرية F . Expressive
المرسل إليه ← الوظيفة الإفهامية F . Conative
الرسالة ← الوظيفة الشعرية F. Poétique
القناة ← الوظيفة التوصيلية F . Phatique
الشفرة ← الوظيفة التحقيقية للغة F . Métalinguistique
السياق ← الوظيفة المرجعية F . Référentielle

1- الوظيفة التعبيرية: هي الوظيفة التي تتعلق بالمرسل الذي يسعى في خطابه للتعبير عن عواطفه، بدلا من نقل الأخبار والمعلومات، هي أساس الاتصال حيث يرجع المرسل إلى الواقع مع اجتناب كل ابهام بين الدليل والشيء، الرسالة المشفرة.

2- الوظيفة الافهامية: هي الوظيفة التي تتعلق بالمتلقي، وهنا يجب على المتكلم أن يشعر المخاطب بأن رسالته موجهة أساسا إليه، كما يجب عليه أن يعمل كل ما في وسعه حتى يتمكن ذلك المخاطب من تقبل رسالته وفهمها بشكل صحيح، تبرز أكثر من خلال مدى استخدام المتكلم لأسلوب الجد والهزل أو أسلوب الأمر والنهي بغرض جلب اهتمام المخاطب.

3- الوظيفة الشعرية: هي الوظيفة التي تتعلق بالرسالة ومدى استنادها إلى صور بلاغية (الاستعارة، المجاز المرسل، المجاز العقلي...).

4- الوظيفة الانتباهية: تهدف هذه الوظيفة إلى تأكيد، إبقاء أو قطع الاتصال، لهذا يفرق جاكبسون بين كل من الدلائل التي تهدف إما إلى استمرارية الاتصال، تمديده أو قطعه، وتلعب هذه الوظيفة دورا هاما في كل أنماط الاتصال.

5- الوظيفة التحقيقية للغة: هي الوظيفة التي تحيل للشفرة المستعملة للتأكد من سلامتها، وتترجم الدليل أو الرمز حيث تعطي معناه، تلعب دورا مهما في جميع الفنون.

6- الوظيفة المرجعية: هي الوظيفة الإدراكية أو المعرفية التي تنتج عن سياق، لأن اللغة تحيل دائما إلى شيء معين مجردا كان أو محسوسا تتجسد من خلال القرائن.[23]

ب* تقسيمات بيار غيرو للشفرات Pierre Guiraud:

- **تعريف المدونة (الشفرة)**: لفظة **code** مدونة أو شفرة مشتقة من الكلمة اللاتينية **codexe**، وهي تعني طاولة الخشب التي كان يكتب عليها قديما ثم أصبحت هذه اللفظة تدل على نصوص معينة مثل: القانون، فيقال القانون الجزائي: code penil، code civil، ثم توسع مفهوم هذه اللفظة ليشمل مجموعة المعايير الاجتماعية، les normes sociaux المباشرة وغير المباشرة، ولم يدخل هذا المصطلح ميدان السيميولوجيا إلا في أواخر الخمسينات مع النظرية الرياضية للاتصال لصاحبيها (شانون وويفر)، ويرى أمبيرتو إيكو: أن المدونة تتضمن كل حالات الاتفاق والوفاق الاجتماعي والميكانيزمات التي تتضمن قواعد اجتماعية معينة، فالمدونات من الناحية السيميولوجية، هي مجموعة من الاتفاقات المستعملة في مجال محدد لبلورة فكرة معينة، هي أيضا مجموعة من الرسائل والاشارات أو الرموز التي توظف لتمرير فكرة معينة من المرسل إلى المتلقي ويشترط في هذه المنظومة اتفاقا مسبقا بين طرفي الاتصال أو ما يسمى بالمدونة المشتركة.(لأن المدونة تتضمن وجود مجموعة من الخصوصيات، وجود رموز، إشارات، حيث إذا لم يكن هناك اتفاق بين المرسل والمتلقي لم يتم معرفتها).

يرى بيار غيرو **pierre guiraud** في كتابه **les codes** أن هناك ثلاثة أنواع رئيسية للمدونات:

1- المدونات المنطقية les codes logique: وهي تلك الأوضاع التي تشكل نظام من العلاقات الواقعية والمرئية والمتحقق منها، وظيفتها التعبير عن تجربة عقلانية موضوعية، توضيح العلاقة التي تربط بين الإنسان والعالم الخارجي وهي تنقسم بدورها إلى:

1.1 المدونات شبه اللغوية paralinguistique: وهي التي تشبه التدوين البسيط بمعنى تشبه اللغة، تؤدي وظيفتها، تساعدها لكن ليست لغة بالمعنى الأبجدي للكلمة، ومن أنواعها:

- **المدونات المناوبة للغة les relais du langage**: مثل: إشارات الصم والبكم، أبجدية البرايل، نظام المورس، التي تعتبر لغة تنوب عن اللغة الأبجدية.
- **المدونات البديلة عن اللغة les substitutes du langage**: وهي التي تتضمن مختلف أشكال الكتابة التمثيلية والتصويرية مثل: رسوم التاصيلي، وبعض المعالم الأثرية في المغارات.
- **المدونات المساعدة للغة système auxiliaire:** مثل الإماء، الإشارات والحركات. وتنقسم إلى:

- **الرموز العروضية les codes prosodique:** تهم بالتغيرات الأفقية أو الكمية للكلمة الملفوظة الوظيفية affective والقواعد وغيرها لها دور مهم في الاتصال الوجداني.
- **الرموز الجسدية les codes kinésique**: تستعمل الحركات والإيماءات وهي تتزامن مع الكلام.
- **الرموز البونية proxémique**: تدرس المسافة بين المرسل والمتلقي وتدرس تموقع الأفراد داخل المكان كيفية شغله له.

1.2 مدونات الإشارات والبرامج أو المدونات التطبيقية les codes pratique : وهي عبارة عن إشارات جاءت لربط الفعل بالوسيلة مثل أنظمة الإشارات، إشارات الطريق، الإشارات البحرية، إشارات الإنذار avertisseur، إشارات الجيش، فجميع الأشخاص لديهم إشارات مشتركة من أبسط نظام إلى أعقد نظام.

1.3 المدونات المعرفية الإبستمولوجية épistémologique: وهي المدونات التي تجمع رموز العلوم، منها ما هو ذو طابع تشابهي ومنها ما هي هو ذو طابع اعتباطي، الرموز العلمية scientifique العلم يقوم على المدلول عن طريق اللغة المشتركة في ذلك العلم فكل علم له رموزه مثل الرموز الخاصة بالرياضيات والفيزياء والكيمياء.[24]

2- المدونات الاجتماعية: les codes sociaux: وهي المدونات التي تقوم بتنظيم العلاقات بين أفراد مجتمع وأفراد مجتمع آخر، هذا يعني أن المرسل في المدونات الاجتماعية جماعة أو مجتمع، وكذلك المستقبل. فالمدونات الإجتماعية يعبر من خلالها الفرد هويته وانتماؤه الإجتماعي لجماعة معينة.

وتنقسم إلى:

1.2 الرموز أو الدلائل les signes: إن أول شرط تفرضه الحياة الاجتماعية هو معرفة هوية من نتعامل معهم، سواء أكانوا أفراد أو جماعات وهي وظيفة الشارات أو الشعارات.

أ- الرموز الدالة على الهوية les signes d'identité: وهي علامات تشير إلى انتماء الشخص إلى جماعة اجتماعية أو اقتصادية وتتمثل وظيفتها في الإفصاح عن تنظيم المجتمع والعلاقات القائمة بين الأفراد.

- **الأسلحة والأعلام والطوطمات les totemes les pavilions les arms**: وتشير إلى الانتماء إلى عائلة أو عشيرة أو مدينة.

اللباس الموحد les uniforme: وهي تشير إلى:

- جماعة اجتماعية groupe social: نبالة، برجوازية.
- جماعة مؤسسية institutionnel: جيش، كنيسة، جامعة.
- جماعة مهنية professionnel: الطباخون، البناؤون.
- جماعة ثقافية culturel: جمعية رياضية، فرقة موسيقية.
- جماعة عرقية ethnique: الألزاسيون.

- **الوشام ومظاهر الزينة وأشكال الحلاقة les montages les maquillage les coiffures**: إشارات في المجتمعات البدائية، بل أنها ما تزال حية في مجتمعاتنا.
- **الأسماء والألقاب les noms et surnoms**: وتمثل العلامات الدالة على الهوية الأكثر شيوعا وبساطة، وتكون معللة دائما إذ تعني الشخص انطلاقا من انتمائه إلى عائلة أو عشيرة أو سماته الجسدية.
- **الشعارات les ensignes**: تعين أشياء أكثر ما تعين جماعات من الأشخاص وهي أشياء ذات صبغة اجتماعية فقبل ظهور ترقيم المنازل، كانت تعرف البنايات انطلاقا من الشعار الموضوع لها.

ب- رموز الآداب les signes de plitesse: تشير علامات الهوية إلى الانتماء إلى جماعة أو وظيفة لكن الناس يتواصلون فيما بينهم كذلك وهم يستعملون لهذه الغاية الشارات وهي تتغير حسب الظروف.

- **نبرة الصوت le ton de voix**: تعد أحدد الوسائل الدالة على طبيعة العلاقة بين المرسل والمتلقي فقد تكون حميمية أو آمرة.
- **أشكال التحية وصيغ الآداب les salutations et formules de politesse**: لها الوظيفة نفسها ويتميزان بطابعها التواضعي واختلافهما من ثقافة لأخرى.
- **الشتائم les injures**: المقابل السلبي للتحية تبرز علامة العداء.
- **الكينزية**: يعنى بتحليل تعابير الوجه والإيماءات.
- **علم البونية**: توظف الزمان والمكان، ذلك أن المسافة التي تفصلنا عن مخاطبنا لها دلالة.
- **الطعام la nourriture**: وهو يشكل أحد الملامح التي تعرف بها الجماعة وآدابها، فرفض دعوة للأكل في بعض الأحيان تعبر عن الإهانة.

1.2 السنن البروتوكولات protocoles: المجتمع مجموعة من الأفراد الذين التفوا للقيام بفعل اجتماعي، لكل منهم موقفه ووظيفه، ويتحدد كل واحد منهم انطلاقا من العلاقات العائلية والدينية والمهنية التي تربطه بالآخرين ويلزم أن تكون هذه العلاقات ظاهرة ومعترف بها فعندما يلتقي الأفراد لانجاز فعل اجتماعي يجب أن يكون هناك ما يدل على الحاكم والمحكوم المانح والممنوح والداعي من الزائر.[25]

3- المدونات الجمالية les codes esthétiques: الشفرة الجمالية هي أيقونية وتماثلية le signe esthétique est iconique et analogique، فالرسالة الجمالية ليس لها وظيفة بسيطة لنقل المعنى بل لها قيمة في حد ذاتها رسالة هدف، وهذا ما أطلق عليه رومان جاكبسون بالوظيفة الشعرية.

الرموز الشعرية حسب غيرو هي أقل اتفاقية وهي بذلك مرمزة codifies واجتماعية socialises بالمقارنة بالرموز المنطقية، فالرموز الجمالية حرة من كل اتفاق.

- **الرمزية symbolique:** يعتبر غاستون باشلار **G .Bachlard** أن وجود مثل هذه الرمزية تقود إلى الأعماق من خلال الخيال الشاعري imagination poétique وهنا يضرب غيرو أمثلة عن رمزية الألوان وما تعنيه، فكل له مدلول خاص به، الرمزية في الصورة، الرمزية في الفنون، الرمزية في الكتابات الأدبية.

فالمدونات الجمالية هي التّي تضم كل أشكال الفنون والآداب، ويمكن أن ندرج في الآداب النصوص الشعرية والنثرية أيضا في حين يحمل الشق الفني كل ما يمكن أن ينطوي على رسالة فنية جمالية مثل: المسرح، السينما، الفنون الجميلة، وغيرها من أساليب التعبير الراقية.

"تعتبر القصيدة مدونة بحيث أنه إذا لم تكن تعرف المحسنات البديعية والصور البيانية فإنك لن تستطيع فهم القصيدة، وكذلك بالنسبة لمعارض الصور، فتعتبر الصورة مدونة حيث لا يمكنك فهم الصورة دون صاحب المعرض".

III. تحليل عينة الأحلام انطلاقا من المقاربة السيميولوجية (مقاربة رومان جاكبسون وبيير غيرو):

لقد تم اختيار ثلاث نصوص حلمية من كتاب تفسير الأحلام المنسوب لابن سيرين التي ثبت عند المحققين صحة إسنادها لابن سيرين لأن جميع من ترجم لابن سيرين من المتقدمين لم يذكر أنه ألف لا في التعبير ولا في غيره، بل قالوا قد ورد عنه في ذلك أمور منها، ثم لم يرووا عنه بالإسناد كما في الطبقات لابن سعد، وتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، وكذا فعل المتأخرون كالذهبي في تاريخ الإسلام، وقال قد جاء عن ابن سيرين في التفسير عجائب، وابن كثير في التاريخ.

1.III تحليل الحلم الأول: يحكى أن رجلا أتى ابن سيرين، فقال: رأيت كأني أؤذن.

فقال: تحج.

وأتاه آخر، فقال: رأيت كأني أؤذن.

فقال: تقطع يدك.

قيل له كيف فرقت بينهما؟

قال: رأيت الأول سيما حسنة فأولت: "وأَذِّن في الناس بالحج"، ورأيت في الثاني سيما غير صالحة فأولت: "وأَذَن مُؤذن أيتها العير إنكم لسارقون".[26]

- **تحليل الحلم الأول حسب مقاربة رومان جاكبسون: الوظيفة المرجعية la fonction référentielle:** مما لاشك فيه أن هذه الوظيفة تحيلنا إلى واقع، وهنا يظهر أن ابن سيرين له مجلس مع أصحابه - على عادة علماء السلف الذين يقيمون مجالس للعلم- والدال على ذلك لفظة "أتى" أي ماشيا، ولفظة "قيل" المبنية للمجهول، أي وجود أشخاص آخرين.

- **الوظيفة التعبيرية la fonction expressive emotive:** هذه الوظيفة كما حددها جاكبسون، تتعلق بالمرسل، المرسل هنا هو الراوي، راوي الرؤيا، وهو يعبر عن العلامات المرئية المرموزة التي رآها، وهذه الوظيفة تعد أساس الاتصال، ونجد راويين في هذه الحالة، نطلق على الأول الراوي "أ" والثاني الراوي "ب"، وهما رجلان لأنه ورد في نص الحلم "حكى أن رجلا".

- **الوظيفة الإفهامية la fonction conative:** وهي الوظيفة المتعلقة بالمتلقي، وهو المؤول "ابن سيرين" وقد ظهرت هذه الوظيفة بشكل جيد، حيث كانت عبارة المتكلم الأول والثاني واضحة ومباشرة حيث قالا "رأيت كأني أؤذن" وهذا واضح من خلال جواب المتلقي –المؤول- لـــ "أ" بقوله "تحج" ولـــ "ب" بقوله "تقطع يدك".

- **الوظيفة الشعرية la fonction poétique ou esthétique:** وهي الوظيفة المتعلقة بالرسالة، والرسالة هنا واحدة للراوي "أ" و "ب" وهي "رأيت كأني أؤذن" وتقديرها "سؤال" :"ما تأويل أني رأيت كأني أؤذن" أي أني في اليقظة لست مؤذن، فما سر الآذان في النوم؟ وهنا تشبه بحال المؤذن، والعلامة المرئية هي "الآذان"، الشق الثاني هو جواب المؤول ابن سيرين كان مختلف.

أما للراوي "أ" كان: تحج.

أما للراوي: "ب" كان جوابه، تقطع يدك (كناية عن السرقة).

لأن "قطع اليد" هو حكم شرعي إسلامي لمن يسرق.

وهنا يقع إشكال، كيف أن العلامة المرئية المرموزة واحدة، ومع ذلك التأويل كان مختلف.

وهذا ما جعل الحضور من سمع التأويل يتساءل بعبارة "كيف فرقت بينهما؟"

كان جواب ابن سيرين هو الشق الثالث في الرسالة: حيث قال عن الراوي "أ" رأيت للأول سيما حسنة فأوّلت له "وأذن في الناس بالحج"، وهنا نقف عند لفظة "سيما" التي تعني العلامة، إذن أسقط التأويل على الراوي "أ" بقرينة صارفة ظاهرة موظفا رمزية القرآن الكريم، ولأن أصل الآذان هو "النداء" و"الدعاء"، فأوّل له لفظ الآذان بالآذان، واختار له من القرآن ما يناسب حاله الحسنة لأن الحج ركن يتمناه كل مسلم.

وقال عن الراوي "ب": رأيت للثاني سيّما غير صالحة فأوّلت له: "ثم أذن مؤذن أيتُّها العِير إنكم لسارقون"، وهنا أيضا توَسّم فيه العلامات التي تعطيه تأويل القطع وذلك أنه من سرق تقطع يده، فبالرغم من أن العلامة المرئية واحدة غير القرينة الظاهرة التي يراها المؤول هي المحدد لنتيجة التأويل.

وهنا رغم توظيف ابن سرين لرمزية الآذان من القرآن الكريم غير أنه فرق في هذا التوظيف بقرينة ظاهرة ، وهما الأساسان اللذان بدأ بهما طريقة التعبير: القرآن الكريم وحسن التوَسّم أي التفرُسِ في الناس و أخذ العلامات الظاهرة من السمت والإماءات بعين الاعتبار وهذا يدخل فيما يعرف بالاتصال غير اللفظي.

***ملاحظة مهمة:** قال ابن سرين في الثاني رأيت فيه سيما "غير صالحة" ولم يقل سيما فاسدة وهذا فيه أدب جميل يظهر مدى حسن الخلق وما ينبغي أن يتحلى به المؤول في التراث العزفي حتى يجد لتأويله قبولا بين الناس.

- **الوظيفة الإنتباهية:** تهدف هذه الوظيفة إلى التبليغ، التثبيت أو إيقاف الاتصال وفي هذا الحلم الاتصال قائم والدليل على ذلك تاء المخاطب في الألفاظ التالية: رأيت، تحج، تقطع، أولت.

- **الوظيفة التحقيقية للغة:** هنا الوظيفة التي تحيل إلى الشفرة المستعملة وفي هذا النص هنا رمزية حلمية يعبر عنها باللغة العربية وهي لغة الراوي والمؤول، ومجيء الراويان إلى ابن سرين كان مشهورا في زمانه بتفسير وتأويل الرؤى.

من جهة أخرى هنا استخدام المؤول ابن سرين لشفرة ورمزية القرآن الكريم، وذلك لأن الراويان يذعنان للتأويل المستمد من القرآن.

أ- تحليل الحلم الأول حسب تقسيمات بيير قيرو للشفرات:

- **الشفرات المنطقية:** تهدف هذه الشفرات إلى إبراز العلاقة التي تربط الإنسان بالعالم وهي كثيرة: لدينا الرموز **المساعدة للغة auxiliaires du langage**، فكل اتصال لفظي يصحب معه دائما رموز غير لفظية، منها مثلا الإيماءات، وفي هذه الرؤية هناك دليل على وجود هذه الرموز في قول ابن سرين في الراوي "أسماء حسنة" وفي الراوي الثاني "سيّما غير صالحة" وقوله رأيت يعني أنه شاهدها واستنبطها من حال الراويان وليس من مقالهما، وهذا فيه دليل آخر أنها قرينة Indice والتي صنفها "غيرو" في "الرموز الجسدية" وهذا يعني من جهة أخرى أن ابن سرين وظّف هذه الرموز الجسدية.

أما **الرموز البونية le code proxémique** تظهر في المسافة بين الراوي والمؤول، وتدرس تموقع الأفراد داخل المكان، وكيفية شغله له، وهنا يوجد مجلس يترأسه المؤول ابن سيرين والمسافة قريبة لأن الكلام شفوي مما يدل على السماع، وهذا يتناسب والثقافة الإسلامية، وهذه المسافة مهمة وكافية لمعرفة الرموز الجسدية.

- **الشفرات الجمالية les codes esthétiques:** الشفرات الجمالية تكمن أولا في كون شخصية ابن سيرين لدى الجميع أنه مؤوّل بل إمام المؤوِّلين في زمانه والأمر الثاني يتمثل في جمالية اللغة في حدِّ ذاتها، وفصاحتها وسلاماتها، وكذلك لأن العرب تقول "خير الكلام ما قلّ ودلّ"، وأيضا جمالية القرآن الكريم وكيفية توظيفه.

- **الشفرات الاجتماعية les codes soucieux:** الشفرة الاجتماعية علاقة بالإنسان حيث من خلالها يعبر عن هويته وانتمائه، فهناك وحدات سيميائية دالّة على هذه الشفرات، جملة "يحكى أن رجلا أتى "ابن سيرين" و أتاه آخر" دليل على أن هذا المجلس يحوي رجالاً، وهذا فيه إشارة واضحة على أهمية ومكانة شخصية ابن سيرين حيث يأتوه الناس بكثرة، والأمر الآخر اللغة المستعملة هي العربية تدّل على أن المجتمع عربي إسلامي، حيث يعتبر الآذان من رموز المسلمين، وقبله القرآن الكريم فالاستشهاد به وتوظيف رمزيته كلها دلالات وعلامات على حضور الشفرة الاجتماعية، وهنا نلاحظ توظيف ابن سيرين لثقافة وهوية الراوي.

2.III تحليل الحلم الثاني:

حُكيَ أن رجلاً أتى ابن سيرين فقال: رأيت كأني أشرب من قلّة ضيقة الرأس، قال: تراود جارية عن نفسها.[27]

أ- تحليل الحلم الثاني حسب مقاربة جاكبسون:

- **الوظيفة المرجعية la fonction référentielle:** إذا كانت هذه الوظيفة هي الرجوع إلى واقع راوي الرؤيا يعد القائم بالاتصال لمجيئه لابن سيرين من أجل رفع الحيرة التي هو فيها يسبب العلامات المرئية المرموزة التي رآها في منامه، وتُظهرُ هذه الوظيفة حاجة الإنسان للاتصال.

- **الوظيفة التعبيرية la fonction expressive émotive:** وهذه الوظيفة تبين ذات المرسل –الراوي- وانفعالاته، ولا أدّلَ على ذلك من دخوله في السؤال مباشرة، خاصة في لفظة "فقال" فإن حرف الفاء يفيد الترتيب والتعقيب وقوله "رأيت" تفيدنا "تاء" المتكلم أن الراوي هو نفسه من رأى الرؤيا.

- **الوظيفة الإفهامية la fonction conative:** ولأن هذه الوظيفة تهتم بالتأثير على المتلقي وهو المؤول ابن سيرين، فقد سمع الرسالة جيدا حيث لم يستفهم من الراوي شيئا بل أجابه مباشرة بقوله "تراود جارية".

- **الوظيفة الشعرية la fonction poétique ou esthétique:** وهذه الوظيفة الخاصة بالرسالة العلامة المرئية المرموزة، حيث قال الراوي: "رأيت كأني أشرب من قلّة ضيقة الرأس"، تقدير هذه العلامة ما تأويل رؤياه هذه، أما لفظة "كأني" فهي الدالة على أن هذه العلامات مرئية خاصة بالمنام، أي لم أشرب حقيقة لكن رأيت نفسي أشرب، من قلة ضيقة الرأس، وهنا رمز آخر وهو "ضيق رأس القلّة"، والقلّة وعاء اشتهر عند العرب قديما يشربون فيه الماء واللبن.

إذن خلاصة العلامات المرئية المرموزة هي:

أولا: فعل الشرب.

ثانيا: قلّة.

ثالثا: ضيقة الرأس.

أما فعل الشرب، فيؤخذ منه مباشرة الفم، لأن الشرب لا يكون إلا عن طريق الفم وبشكل أدق وضع الشفتين على فم القلة، فنخرُجُ بأن هذا الراوي يباشر شيئا، لكنه ليس شرب.

أما القلّة فهي الإناء الذي يجد فيه الراوي ضالته من الشرب، ولأنه لم يحدد طبيعة المشروب فدل على أن القلّة ترمز للمرأة، فكما أن القلة تروي ظمأ العطشان فإن المرأة تلبي شهوة الرجل.

وأما ضيق الرأس فهو دليل على صغر القُلّة وهذا فيه كناية واضحة على أن المرأة صغيرة وهذا ما عبر عليه ابن سيرين بالجارية.

ونجد هنا مرة أخرى كيف أن ابن سيرين يتمسك بالمعنى جيدا حين يفكك الرموز التي تعرض عليه عن طريق توظيف دقيق للرمز.

- **الوظيفة الإنتباهية:** في هذه الرؤيا هناك تبليغ من الراوي إلى المؤول بمجموع العلامات المرئية المرموزة التي رآها، فالبعد التواصلي ظاهرة في هذه الرؤيا من خلال قول الراوي "رأيت" ورد ابن سيرين "تراود".

- **الوظيفة التحقيقية للغة:** في هذا النص فإن الشفرة البارزة هنا طبيعة العلامات المرئية المرموزة، وهي "القُلّة" الدالة على الحياة اليومية للفرد في ذلك الزمن، فهي زيادة على أنها في ظاهرها آلة للشرب غير أنها تحمل شفرة مفادها "الجارية".

ب- تحليل الحلم الثاني حسب مقاربة بيير غيرو:

- **الشفرات المنطقية:** إذا كانت هذه الشفرات تظهر لنا العلاقة الرابطة للإنسان بعالمه المحيط به، فإن استنباطها من نَصٍ كالذي بين أيدينا يحتاج إلى دقة وغوْصٍ في دلالات الوحدات السيميائية، بالرغم من عدد العلامات المرئية القليلة في هذا الحلم إلا أن الدلالات قوية، ذلك أن الرموز المساعدة auxiliaire du langage يمكن استنتاجها من تأويل ابن سيرين في قوله "تراود" مباشرة دليل على أنه يكلم شاب لأن المراودة عادة تكون من الشباب وهذا من باب إسقاط التأويل على حال الرائي الراوي، ولفظة "تراود" فيها إشارة على معاودة المراودة، لم يقل له "راودت" ومضى الأمر، بل مازلت قائما على المراودة، والحرص على هذا يكون عادة من الشاب الذي يكون في كامل القوة.

أما قول الراوي :"رأيت"، ورَدَ ابن سيرين المؤول "تراود" دليل على أن كلاهما قريبان من بعضهما من حيث المسافة، وكل ذلك يعلل الطريقة التي كان به ابن سيرين يوظف فيها الرمز في عملية التأويل.

- **الشفرات الجمالية les codes esthétiques**: إضافة إلى جمالية شخصية ابن سيرين وشهرتها في هذا العلم "تعبير الرؤيا" هناك جمالية المنطق اللغوي، سلامة الأسلوب، إيجاز الطرح، قوة التشبيه والكناية، والتوظيف السليم والجيد للأسماء ومدلولاتها، وهنا نجد ابن سيرين يستخدم طريقة التأويل باشتقاق معاني الأسماء في لغة العرب، وهذا ما جعله من القواعد في التأويل كما مرّ علينا في المقدمة التي قمنا بشرحها.

- **الشفرات الاجتماعية les codes soucieux:** كل الشفرات التي سنذكرها كلها تصب في ثقافة المجتمع العربي الإسلامي لأننا نتحدث عن زمن التابعين، وهو القرن الذي جاء بعد قرن الصحابة الذين كان فيهم الرسول صلى الله عليه وسلم، ولأن الإنسان هو الحامل لهذه الشفرات، فإنه يعبر من خلالها عن هويته وانتمائه.

وفي هذه الرؤيا التي بين أيدينا وردت لفظة "قلة" دليل على رموز الآداب، فإنه حسب بيير غيرو فإن الطعام la nourriture يعد من هذه الرموز، والقُلّة آنية عُرِفَ بها العرب قديما للشرب والشرب منها مباشرة دون استخدام إناء آخر.

III.3 تحليل الحلم الثالث:

وحُكى أن رجلا أتى ابن سيرين فقال: رأيت كأني أبول دما، فقال: اتق الله تأتي امرأتك وهي حائض، قال نعم.[28]

أ- تحليل الحلم الثالث حسب مقاربة رومان جاكبسون:

- **الوظيفة المرجعية la fonction référentielle:** ولأن هذه الوظيفة تحيلنا إلى الواقع، أي الوظيفة الإدراكية أو المعرفة التي تنتج عن سياق، وذلك من خلال القرائن وفي هذه الرؤيا قرائن تبين انعقاد مجلس لابن سيرين لتأويل الأحلام منها "أتى ابن سيرين"، "رأيت"، "فقال"، "قال"، ولفظة "حكى" دليل على وجود طرف آخر روى هذا الحوار الذي دار بين الرجل رأى الرؤيا وابن سيرين.

- **الوظيفة التعبيرية la fonction expressive emotive:** ونلمس هذه الوظيفة بمجرد فعل الإتيان، فإنه جاء وحكى أن رجلا أتى ابن سيرين، ونجد الانفعال هو سؤال في قوله: رأيت كأني أَبُولُ دماً، معبرا عما رآه من العلامات المرئية المرموزة، وهذا فيه دلالة واضحة على الحيرة التي تولّدها تلك العلامات في النفس، مما يدفعها للسؤال باحثة عن حقيقة تلك الرموز، وهذا ما يتوفر حسب ظني الرائي عند ابن سيرين.

- **الوظيفة الإفهامية la fonction conative:** ولأن هذه الوظيفة تتعلق بالمتلقي ابن سيرين المؤول، فإنه ينبغي على المتكلم الراوي الرائي أن يشعر المخاطب المؤول بان رسالته – مجموع العلامات المرئية المرموزة – موجهة أساسا اليه، وقد نجح في ذلك إذ نستشِّف ذلك من "تاء المتكلم في لفظة رأيت"، وكذلك طبيعة الكلمات وبساطتها وسهولة إدراكها، من جهة أخرى عدم استفهام ابن سيرين له وسرعة إجابته له، وكذلك رد الراوي بقوله نعم دليل على أن الاتصال تم بسلاسة وسهولة كاملة بين الطرفين.

- **الوظيفة الشعرية la fonction poétique ou esthétique:** هذه الوظيفة تتعلق بالرسالة ومدى استنادها إلى صور بلاغية (الاستعارة، المجاز المرسل، المجاز العقلي...)، والعلامات المرئية المرموزة الموجودة مليئة بذلك ويمكننا أن نقسمها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: رأيت كأني دما وهذا فيه رمزين أما الأول فهو متعلق "البول"، وهي حاجة فيزيولوجية للإنسان يجب قضائها حتى يشعر بالراحة ويتخلص من السموم.

أما الرمز الثاني وهو الدم، وهو أيضا سائل موجود في جسم الإنسان ويتكون من كريات حمراء وأخرى بيضاء، وبه تكون حياة الإنسان ونفاذه يعنى الموت.

وقد وضع ابن سيرين في كتابه هذا رمز الدم بأنه مال حرام أو إثم، وسوف نحتفظ بهذا لكي نفكك الرموز التي وردت في هذه الرؤيا.

والجملة كاملة تدل على أن الرجل رأى كأنه يبول دما، أي أنه استشكَلَ رؤية ذلك في المنام، أي ما تأويل أني رأيت في المنام أني أبول دما؟ وأنا لست مريض !

أي ما تأويل العلامة المرئية المرموزة؟

"بول الدم"، جواب ذلك حسب ابن سيرين يكون في القسم الثاني من الرسالة وهي: قول ابن سيرين: اتق الله؟ فإنك تأتي امرأتك وهي حائض.

أما قوله "اتَّق الله" ففيه دلالة على أنّ الرجل قد أتى إثما وهذا ما يقابل تأويله للدّم بالإثم، كما أشرنا إليه أعلاه، والتقوى هي الوقاية لغة، أما اصطلاحا فعل الطاعات واجتناب النواهي، نقول ذلك لنعلل كيف أن الرجل إما أتى أمرا منهيا عنه أو ترك مأمورا به، والظاهر هنا أنه أتى أمرا منهيا عنه في دين الله تعالى وهو إتيان المرأة الحائض، لقول الله تعالى: "واعتزلوا النساء في المحيض حتى يطهرن".

فقد أمر الله تعالى بهذا النص بعدم مجامعة الزوجة حتى تتطهر من هذا الدم، لأن ذلك الدم هو دم فاسد.

أما كيف وظف تلك الرموز فهو كما يلي:

أخذ من "البول" رمز الإخراج، لم يذكر حقيقة البول فدلّ على أن الخارج هو ماء المني، وإتيانا لذلك قال ابن سيرين أنك تأتي امرأتك، أما قوله وهي حائض فقد أخذه من الدم.

أي مادام الرجل لم يخرج منه الدم على الحقيقة فدل أن الموضع الذي يضع فيه ماءه فيه دم.

وفي الجملة أثبت ابن سيرين أن الرجل يجامع زوجته وهي حائض.

وقد كان جواب الراوي: نعم، وهو القسم الثالث من الرسالة، ففي قوله نعم إقرار بحقيقة الفعل الإثم، وهو مجامعة الزوجة وهي حائض، وثانيا صدق تأويل ابن سيرين.

- **الوظيفة الإنتباهية:** هذه الوظيفة تهدف دائما إلى التبليغ لتثبيت أو إيقاف الاتصال، وهنا بلغ الرجل مجموع علاماته المرئية التي رآها في المنام إلى ابن سيرين بلغة عربية بسيطة وأسلوب سهل ولفظة "قال" دالة على ثبات الاتصال، وكذلك طريقة جواب ابن سيرين.

- **الوظيفة التحقيقية للغة:** هذه الوظيفة تحيل إلى الشفرة المستعملة للتأكد من سلامتها وهي تترجم الدليل أو الرمز حيث تعطي معناه، وقد عبر الراوي عن علاماته المرئية بلغة بسيطة، فيها رموز قام ابن سيرين بتأويلها موظفا نفس الشفرة التي استعملها الراوي.

ب- تحليل الحلم الثالث حسب تقسيمات بيير غيرو للشفرات:

- **الشفرات المنطقية:** ونبدأ تحليلنا من الشفرات المساعدة للغة ولكي نخرجها بدقة نتساءل أولا كيف علم ابن سرين أن الرجل متزوج خاصة وأنه جاء في تأصيل تأويل "بول الدم عموما" بإتيان امرأة حائض والجواب عن هذا التساؤل هو كما يلي : أولا لفظة "رجل" تدل على أنه ليس طفل ولا شيخ وعادة وخاصة في ذاك الزمان الرجل يكون متزوجا، فقد اشتهر عندهم الزواج المبكر، أما الرموز البونية proxémique كما يسميها "فيير" فإنها تظهر من خلال الحوار الذي دار بين ابن سرين والراوي ، فلأن الكلام كان مشافهة دلّ على أن كلاهما يسمع الآخر، وأن المسافة بينهما قريبة جدا أما لفظة "أتَى" تدل على المركز الاجتماعي لابن سيرين وكيف أن له مجلس لتأويل رؤى الناس، من جهة أخرى كذلك دور السائل الراوي الذي جاء متعلما ومستفهما لما رآه من علامات مرئية مرموزة ،وهذا كله فيه إشارة لطيفة على أن ابن سيرين يوظف كل الإيماءات والحركات التي تصدر عن الراوي الذي يأتيه بل وحتى هيأته وشكله وهذا يندرج في جانب آخر من توظيف الرمز طبعا، والرموز البونية هنا تبين بجلاء الأبعاد السوسيوثقافية للمجتمع العربي المسلم، فعن هذه المسافة الحميمية تظهر من جهة أخرى مدى تواضع ابن سيرين وقربه من عامة الناس وهذا القرب بطبيعة الحال هو قرب من انشغالاتهم واهتماماتهم.

أما الرموز الابستيمولوجية فيمكن استنتاجها من خلال إتيان الراوي لابن سيرين مما يدل على الثقة في علمه وقوة تأويله، وكذلك يدل من جهة أخرى مدى التزام الناس في ذاك الزمان بالتوجيه النبوي الشريف حين قال محمد صلى الله عليه وسلم "..فلا يحكيه إلا لعالم ناصح" ،أو كما قال، وفي جملة يبين مدى التزام الناس بالعلم عموما وقول الصدق والحق ولو كان مر.

أما مهارة ابن سيرين في تأويل الأحلام فنلمسها أولا من قوة تفكيكه للرموز وكذلك اعتراف الراوي بقوله "نعم" وتندرج هذه المهارة وقوتها في إطار ما يسميه "فيير" بالرموز التطبيقية les codes pratiques**.**

- **الشفرات الجمالية les codes esthétiques:** لقد تعددت العلامات الجمالية في هذه الرؤية سنحاول ذكرها فيما يلي:

أولا: جمالية شخصية ابن سيرين فاختار الرجل الإتيان ورواية رؤياه له دليل على الألفة والثقة التي يتمتع بها ابن سيرين في أوساط الناس وهذا في حد ذاته يعد بعدا جماليا.

ثانيا: جمالية شخصية الراوي نفسه وصدقه واعترافه بالخطأ حين قال "نعم" مقرا ومعترفا بما فعل لأنه يستفاد من قوله "نعم" أي نعم قد أتيت امرأتي وهي حائض وسأتقي الله عزّوجلّ. ولا أعود، وهذا فيه أيضا الالتزام بالقرآن الكريم.

ثالثا: المجلس الذي يعقده ابن سيرين وإلا كيف يأتيه الناس، جمالية التواضع والجلوس للناس ومؤانستهم وهذا فيه بعد جمالي سوسيوثقافي.

- **الشفرات الإجتماعية les codes soucieux:** يعبر الإنسان عن طريق هذه الشفرات عن هويته وانتمائه إلى الجماعة ذلك أن الإنسان نفسه هو مادة العلامة وحاملها في الوقت نفسه، فإذا أخذنا الدلائل **les signes** فإن اللغة المستخدمة من الراوي والمؤول هي العربية وهذا دليل على الثقافة العربية وقول المؤول ابن سيرين اتق الله دليل على جماعة ثقافية **group culturel** بل والدين واحد وهو الإسلام.

يستفاد أيضا من طبيعة هذه الرؤيا أن نبذة الصورة **le ton de voix** واحدة بحيث بين طبيعة العلاقة بين المرسل والمتلقي وهي بذلك حميمية لطبيعة الحوار الذي جرى بينهما من جهة أخرى إن عبارة "أتى ابن سيرين" دليل على وجود ما يعبر عنه فيير بالبروتوكولات **les protocoles** حيث ابن سيرين له مركز مؤول الرؤى فالراوي هو "السائل" وابن سيرين هو المجيب والتصريح بإسم ابن سيرين وعدم التصريح بالراوي السائل دليل آخر على ذلك.

IV. الخلاصة:

إن دراسة الأحلام بشكل عام تتطلب الحذر والحيطة لطبيعة الأحلام واللغة الرمزية التي تتمتع بها، غير أن المعالجة السيميائية للأحلام تكشف الكثير من الجوانب الغامضة في هذه الأحلام، بل وتفكك ولو بجزء بسيط تلك الرمزية وفي المقابل هذه الدراسة تعطي المتعة العلمية للباحث الذي يريد كشف أغوار هذا العلم خاصة وأن التراث العربي الإسلامي يزخر بدُرَرٍ نفيسة في هذا المجال من الدراسات، فإنه مازال بحاجة إلى الدراسات السيميائية الجادة التي تخرجه إلى النور من خلال وضعه في الإطار العلمي الأكاديمي، والحقيقة أن تناولنا لكتاب "تفسير الأحلام" لابن سيرين يعد خطوة في هذا المسار، فقد رأينا من خلال هذه المحاولة القوة العلمية الموجودة في التراث وكذا الجهاز المفاهيمي الغني الذي تزخر به تلك المؤلفات.

ويجدر في هذا الصدد التأكيد على أن الأحلام يمكن دراستها سيميولوجيا والوصول إلى أغوار دلائلها من خلال الكشف عن التوظيف الذي قام به ابن سيرين للرمز واستخدام الدلالة وأخذ الحلم كعلامة، وأن هناك منظورا سيميائيا للأحلام في التراث العربي من خلال مجموع المفاهيم والمصطلحات التي عولجت بها الأحلام سيميائيا، وتطبيقها على ما جاء في عينة الأحلام المأخوذة من الكتاب المدروس، ومن جهة أخرى خلصت هذه الورقة البحثية إلى الكيفية التي وظف بها ابن سيرين هذا المنظور خاصة من خلال تطبيق مقاربة رومان جاكبسون وبيارقيرو، والتي خلصت لجملة نتائج يمكن تلخيصها كالآتي:

* أهمية الحلم للفرد والتوازن النفسي الذي يحدثه ما يعطي مزيدا من التبرير لدراسة الحلم دراسة سيميوليجية.
* ارتباط الأحلام بالحضارات القديمة والحديثة ما يدل على أنها كانت محل اهتمام الناس منذ القدم.
* أهمية الدراسات النفسية للأحلام لفهم الرمزية الحلمية كما يسميها فرويد، وكذا المعاني الظاهرة والكامنة للأحلام عموما.
* التميز العربي الإسلامي في فهم الأحلام وتأويلها، وهذا ما يظهر الدرر العلمية التي يحتويها التراث العربي الإسلامي، والتي تحتاج إلى وضعها في الإطار العلمي الأكاديمي.
* القيمة العلمية ذات الطابع السسيميائي للكتاب ابن سيرين وكذا القوانين الذي وضعها في فعل التأويل والتوظيف السيميائي لهذا الفعل، خاصة من خلال أخذ الحلم كعلامة.

الأمر الذي يكشف في النهاية عن أهمية النظام الدلالي الذي تتمتع به الأحلام، وأن عملية تفسير الأحلام هي عملية سيميائية لها جهاز مفاهيمي مهم يحتاج إلى الدراسة والبحث المستمر للوقوف على خلفيتها ورمزيتها وعلاقتها بالتركيبة النفسية للفرد، خاصة أن مفسر الأحلام يتعامل مع علامات ورموز لها دلالات يمكن بحثها في الدراسات السيميائية، وهذا كله يجيب عن القراءة السيميائية للأحلام من جهة، ويظهر لنا كيف وظف ابن سيرين هذه القراءة من جهة أخرى

- **الإحالات والمراجع:**

[1]. بيار غيرو، ترجمة أنطوان بن زيد، (1984)، **السيمياء**، ط1، لبنان: منشورات عويدات، ص.50

[2]. ابن منظور، **(2000)، لسان العرب**، المجلد4، ط1، بيروت: دار صادر، ص209.

[3]. سيغموند فرويد، ترجمة مصطفى صفوان، (2003)، **تفسير الأحلام**، ط1، بيروت: دار الغرابي، ص54.

[4]. Domart.A, Bourneuf.J& All, **Nouveau larousse médicale**, Paris, Mass, 1986, p1944.

[5]. شمسي باشا، (1991)، **النوم والأرق والأحلام بين الطب والقرآن**، جدة: دار المنارة، ص17.

[6]. القرآن الكريم، سورة الزمر، الآية 42، ص39.

[7]. L.Uyttenhove, (1982), **Dictionnaire des rêves**, Belgique: Marabout, p6

[8]. Freud.S, (1988), **Le mot d'ésprit et sa relation à l'inconscient**, Paris: ed Gallimart , pp 292-293.

[9]. Ficili.H, (1987), **Le message des rêves**, Paris: ed Devecchi, S.A, p11.

[10]. Mucchielli.A, (1993), **l'analyse formelle des réves et des récits d'imagination** , Paris: PUF, p31.

[11]. فراداي أن، ترجمة عبد العلي الجسماني، (1955)، **الأحلام وقواها الخفية**، بيروت: الدار العربية للعلوم، ص55.

[12]. سعيد يقطين، (2006)، **السرد العربي مفاهيم وتجليات**، ط1، القاهرة: رؤية للنشر والتوزيع، ص232.
[13] عبد الحميد شاكر، (1988)، **الحلم والرمز والأسطورة**، ط1، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص147.
[14]. عبد الرحمان ابن خلدون، (2007)، **مقدمة العلامة ابن خلدون**، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص501.
[15]. القرآن الكريم، سورة يوسف، الآية 43، ص.240
[16]. نفس السورة، الآية 100، ص.247
[17]. الشهاب العابر، تحقيق حسين بن محمد جمعة، (2007)، **قواعد تفسير الأحلام**، ط2، بيروت: مؤسسة الريان، ص110.
[18]. رواه البخاري موقوفا (7017) وصححه الألباني (1870).
[19]. الشهاب العابر، تحقيق حسين بن محمد جمعة، (2007)، **قواعد تفسير الأحلام**، ط02، بيروت: مؤسسة الريان، ص.134
[20]. عبد الغني النابلسي، تحقيق عفابة، (2005)، **تعطير الأنام في تعبير المنام**، لبنان: دار الكتاب العربي، ص567.

[21]. Sanfo.V, (1985), **L'extraordinaire pouvoir des rêves**, Paris: ed devecchi.S.A, p84.
[22]. Pierre Guiraud, (1977), **la sémiologie**, France: PUF 3em ed, p09.
[23]. Pierre Guiraud , Op.cit, pp10-13.
[24]. Ibid, pp59-65.
[25]. Ibid, pp99-108.
[26]. ابن سيرين، جمع وتعليق أبو صهيب محمد بن سامح، (2010)، **تفسير الأحلام**، ط01، القاهرة: دار بن الجوزي، ص.37
[27]. ابن سيرين: المرجع نفسه، ص58.
[28]. ابن سيرين: المرجع نفسه، ص68.

كيفية الاستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

محرز حمايمي ،(2021)، **القراءة السيميائية لتفسير الأحلام دراسة سيميولوجية لعينة من نصوص حلمية من كتاب تفسير الأحلام لابن سرين** ، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 13(02)/ 2021، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة، (ص.ص 57- 72).